دعوى صعوبة العربية عرض ونقد

الدكتور عبد الرحمن إسماعيل خليل التميمي

وزارة التربية– مديرية تربية الكرخ الأولى

allegation of Arabic language difficulty, presentation, and criticism

Dr .ABDULRAHMAN ISMAEL KHALEEL ALTAMEEMI

Ministry of Education - Karkh Directorate of Education first

الملخص

تعدّ اللغة عند أي أمّة السجل الحضاري والمنبع الفكري والثقافي، وبذلك تصبح صورة حية لهوية أبنائها، أما والحديث عن اللغة العربية بما تحمله من خصـــائص الجمال والقوة والقدرة على إظهار جواهر الفكر فهو حديث ذو شـــجون؛ ذلك أن ما أحدثه مســـتعمرو الفكر ومَن اندفع وراء خيالهم بادعائهم صـــعوبة العربية نطقًا وكتابةً ومفرداتٍ وتركيبًا ودلالةً، فجاء هذا البحث ليعرض دعاواهم ويبيّن ماهيتها وحقيقتها وغاياتها وفق منهج البحث العلمي في اللغات، مستغرقًا مناهج البحث الوصفي والتاريخي والتحليلي والمقارن، فكان العنوان (دعوى صعوبة العربية عرض ونقد)، وفيه مبحثان: ضـمّ الأول دعاوى صـعوبة أصـوات العربية وكتابتها وأبنيتها، وفي الثاني دعاوى صعوبة التركيب والدلالة. وبعد التحليل والمقارنة بين العربية وبعض اللغات –العالمية اليوم- تبيّن بطلان تلك الدعاوى بحســـب قوانين وأنظمة اللغات عند الباحثين المتخصـــصـــين، وظهر زيف ما زعمه المدعون وأغراضـــهم المشـــبوهة في الطعن بلغتنا العربية. فثبت أن العربية تتمتع بخصـــائص الســـهولة واليســـر والدقة والسعة، فضلا عن السمو والجمال.

Abstract

The language is considered by any nation to be a civilized record and an intellectual and cultural source, and thus it represents the identity of this nation.

It is interesting to talk about the Arabic language, with its characteristics of beauty, strength, and the ability to display the essence of thought. That is because the colonists of thought, and those who follow them, claim that the Arabic language is really difficult in pronouncement, writing, vocabulary, syntax, and significance.

Therefore, this research present their allegations and clarify what they are, their truth, and their goals according to scientific research in languages, taking advantage of the descriptive, historical, analytical and comparative research approaches, so the title was (allegation of Arabic language difficulty, presentation, and criticism), and it is divided into two topics: the first one included claims of the difficulty of writing Arabic voices and their structures, while the second it included cases of difficulty in syntax and significance.

The analysis and comparison between Arabic and some languages - global today – showed that these claims were invalid according to the rules and regulations of the languages of the specialized researchers, and the falsehood of what the claimants claimed and their real purpose to defame our Arabic language has been demonstrated.

It is shown that Arabic has the characteristics of easiness, accuracy, and capacity, as well as highness and beauty.

المقدمة:

تعدّ اللغة السجل الحضاري لأي أمّة، فضلا عن كونها المنبع الفكري والثقافي لها، وبذلك تصبح صورة حية لهوية أبنائها.

أما والحديث عن اللغة العربية بما تحمله من خصائص الجمال، والقوة، والقدرة على إظهار جواهر الفكر، فهو حديث ذو شجون؛ ذلك أن ما أحدثه مستعمرو الفكر ومَن اندفع وراء خيالهم بادعائهم صعوبة العربية نطقًا وكتابةً ومفرداتٍ وتركيبًا ودلالةً، ليس أكثر من أضغاث أحلام، لم ولن يبزغ عليها فجرٌ غائم حتى.

فجاء هذا البحث ليعرض دعاواهم، ويبيّن ماهيتها وحقيقتها وغاياتها، وفق منهج البحث العلمي في اللغات، مستغرقًا مناهج البحث الوصفي والتاريخي والتحليلي والمقارن، مستشهدًا بأقوال بعض المستشرقين الباحثين في العربية وماهيتها؛ لأبين حقيقة العربية في أذهان المستشرقين، وسحرها لهم، فالعرب أصبحوا لا يؤمنون ببضاعتهم.

فكان العنوان (دعوى صعوبة العربية عرض ونقد)، وفيه مبحثان: ضمّ الأول دعاوى صعوبة أصوات العربية وكتابتها وأبنيتها، وفي الثاني دعاوى صعوبة التركيب والدلالة.

وبعد التحليل والمقارنة بين العربية وبعض اللغات –العالمية اليوم– تبيّن بطلان تلك الدعاوى، بحسب قوانين وأنظمة اللغات عند الباحثين المتخصصين، وظهر زيف ما زعمه المدعون، وأغراضهم المشبوهة في الطعن بلغتنا العربية. فثبت أن العربية تتمتع بخصائص السهولة، واليسر، والدقة، والسعة، فضلا عن السمو والجمال. وبذلك يقول آدبري: "إنّ اللغة العربية لغة حيّة، وحضارة العرب هي حضارة الأمس واليوم والغد".

وقد يسأل سائل: لماذا يجب أن نعتني بالفصحى ونتكلم بها؟ فنقول: إن التهاون في هذا الأمر سينتقل من جيل إلى جيل، ويزداد حتى يصب في بحر من الظلمات، وينتهي المطاف في زمن لا يستطيع العربي أن يفقه عربيته، وإذ بالعرب يتنازلون عن هويتهم القومية والدينية.

قالوا في العربية

- قال يوهان فك: "ولقد برهن جبروت التراث العربي التالد الخالد على أنه أقوى من كل محاولة يقصد بها إلى زحزحة العربية الفصحى عن مقامها المسيطر. وإذا صدقت البوادر، ولم تخطئ الدلائل، فستحتفظ أيضًا بهذا المقام العتيد"[1].
- قال ماسينينون: "إن اللغة العربية أداة خالصة لنقل بدائع الفكر في الميدان الدولي، وإن استمرار حياة اللغة العربية دوليًا لهو العنصر الجوهري للسلام بين الأمم في المستقبل"[2].
- قال جان كانتينو: "وقد كانت هذه الدراسات الصوتية عند النحاة العرب ... دراسات نفيسة ولو رجع إليها الباحثون العصريون أكثر مما فعلوا لتمكنوا من اجتناب كثير من الهفوات التي وقعوا بها"[3].
- قال يوهان فك: "ولقد تكفلت القواعد التي وضعها النحاة العرب في جهد لا يعرف الكلل، وتضحية جديرة بالإعجاب، بعرض اللغة الفصحى وتصويرها في جميع مظاهرها، من ناحية الأصوات، والصيغ، وتركيب الجمل، ومعاني المفردات على صورة محيطة شاملة، حتى بلغت كتب القواعد الأساسية عندهم مستوى من الكمال لا يسمح بزيادة مستزيد"[4].
- قال دوزي: "لقد تناسى المسيحيون كل شيء حتى لغتهم، وقلّ أن تجد واحدًا في الألف من بيننا يستطيع تحرير خطاب باللاتينية الصحيحة إلى صديق له، فإن جئت إلى العربية وجدت الكثيرين منهم يتكلمون هذه اللغة في أسلوب عذب وعبارة سلسة، وينظمون القصائد الرائعة التي تبز من الناحية الفنية قصائد العرب أنفسهم"[5].
- قال تيودور نولدكه: "توجد في العرب المميزات الخالصة للساميين، كما أن لغتهم أقرب دائما من اللغات الأخرى إلى السامية الأولى"[6] .
- قال وليام مارسيه لتلامذته من العرب: "إنّا نحسدكم لغتكم، وننفسها عليكم فقد صبها الله صبّا محكمًا، لا خداج فيه ولا عيب"[7] .

المبحث الأول
دعوى الصعوبة المتعلقة بالأصوات والكتابة والأبنية

- **الأصوات:**

تعتمد اللغات بشكل عام على نظام صوتي من أجل تكوين وحدات صوتية تتألف فيما بينها لتؤدي البنية الصوتية التي تستند اللغات عليها، إلا أن هذه اللغات –بلا شك– يختلف النظام الصوتي فيها من لغة إلى أخرى، وهذه مسألة طبيعية، فقد تمتاز لغة معينة بنظام صوتي يؤدي الوظيفة في هذه اللغة، لكن هذا النظام ما إن ننقله إلى لغة أخرى نرى أن اللغة قد فسدت، والحالة هذه.

إن علماء الصوت بيّنوا أن عيوب النطق تأتي من جانبين، الأول: يتعلق بمستوى النسيج المقطعي الصرفي، والثاني: يتعلق بالأصوات المفردة في حدّ ذاتها. فأمّا الأول: فالعربية منها في معزل؛ لأن الكلمات الغريبة وإن وجدت فهي تتعلق بلهجات مذمومة مخالفة للفصاحة، وفي لغتها الفصيحة بديل عن هذه المفردات، وأما الثاني فسلمت منها العربية؛ لأنّ أصوات حروفها ثابتة، فلكل حرف صوت لا يؤديه الحرف الآخر[8].

ولقد قسم جان كونتينو الحركات الصوتية في جميع اللغات إلى ستة أقسام بحسب المواضع، وقال إن من اللغات من يستعمل أربعة أصناف كالتركية، ومنها ما تستعمل ثلاثة أصناف كالعبرية والفرنسية، أما اللغة العربية فتستعمل صنفين فقط وهما: حركات خلفية مستديرة هي الضمة والضمة الطويلة، وحركات أمامية منفرجة وهي الكسرة والكسرة الطويلة، أما الفتحة والفتحة الطويلة فهما وسطيتان من حيث علم الأصوات وخارجة عن أصناف المواضع، ولقد احتفظت العربية بهذا النظام الحركي البسيط كاملا[9]. ومع ذلك نجد من يعيب على العربية في حركاتها ويقول إنها كثيرة ومعقدة.

والعربية لم تنفرد بنظامها الصوتي المقطعي، قال والترج أونج: "وتكتب بعض اللغات باستعمال الرموز المقطعية syllabaries التي يمثل كل منها صوتًا صامتًا وحركة بعده. وهكذا نجد في الكاتاكانا اليابانية خمسة رموز منفصل لكل من ka,ke,ki,ko,ku وخمسة أخرى مع الميم: ma,me,mi,mo,mu إلى آخره"[10].

والباحثون في اللغة أكدوا على أن أصوات العربية تتمتع بأصالةٍ لم تحظَ بها أخواتها، قال نودلكه: "حقًا لقد احتفظت العربية أكثر من أخواتها بكثير من الصور الصادقة لعناصر اللغة الأولى.

مثل الكمية الأصلية تقريبًا من الأصوات الساكنة، وكذلك الحركات القصيرة في المقاطع المفتوحة، ولا سيما في وسط الكلمات"[11].

ثم إن النظام الصوتي للغة معيّنة يكون متعارفًا بين أبناء هذه اللغة، وذلك لأن "الأصوات اللغوية المشتركة والمنجزة على هيئة واحدة في بيئة لغوية واحدة قصدية كانت أم اختيارية تُعد جزءًا من السليقة اللغوية، ومن ثمّ فهي ذات مشروعية ومقبولية في بيئتها الاجتماعية الجماعية، ولا يستقيم نعتها بالمذمومة والمعيبة، وتشكك اللغويات المعاصرة كثيرًا في مسألة المفاضلة بين الأصوات اللغوية بوصفها أصواتًا جامدة قد ارتضتها الجماعة اللغوية المعنية، فذلك يتعارض مع الوظيفة التواصلية للغة في المجتمع البشري"[12].

وأصوات العربية تتحلى بميزة دلالية؛ "وذلك لوجود بعض العلاقات والروابط بين أصوات كثير من الكلمات وما تدل عليه، وإن كانت هذه الظاهرة عامة في كل اللغات إلا أنها بلغت من الظهور والوضوح في اللغة العربية ما جعلها ميزة من مزاياها وخصيصة من خصائصها"[13].

ولذلك يقول ابن جني: "إن كثيرًا من هذه اللغة وجدته مضاهيًا بأجراس حروفه أصوات الأفعال التي عبر بها عنها؛ ألا تراهم قالوا قضم في اليابس وخضم في الرطب؛ ذلك لقوة القاف وضعف الخاء فجعلوا الصوت الأقوى للفعل الأقوى, والصوت الأضعف للفعل الأضعف"[14].

فنبر الصوت –مثلاً– يدل على المعاني المختلفة، وهذه الصفة لا تقف عند العربية، ففي اللغة الإسبانية: "إذا نطقت الكلمة Canto بنبر على المقطع الأول، فمعناها (أنا أُغني)، على حين أن Cantô بنبر المقطع الثاني تعني (هو يغني)"[15].

ومن السهام التي رميت على العربية بأصواتها ما ادَّعوه على أصوات العلة، والحقيقة أن "ما حدث في اللغة العربية بهذا الصدد حدث مثله في اللغات الأوربية. فمن ذلك تحول أصوات اللين المركبة (diphtongue) إلى أصوات لين بسيطة في كثير من هذه اللغات. فاللغة الفرنسية مثلا قد تحوّل في نطقها معظم أصوات اللين المركبة إلى أصوات لين بسيطة؛ وإن كانت لا تزال ترسم حسب حالتها القديمة (ai,ei,au,eau,eu,etc...) وعلى هذه الظاهرة يقع قسط كبير من التبعة في صعوبة الرسم الفرنسي وعدم مطابقته للنطق. وما حدث في اللغة الفرنسية بهذا الصدد حدث مثله في سائر اللغات الأوربية وخاصة الإسبانية والإيطالية والألمانية والإنجليزية"[16].

ففي اللغة الألمانية –العالمية– على سبيل المثال نرى أن أصوات حروفها متغيرة، فالعربية رسم حروفها يدل على صوتها، أما في اللغة الألمانية والتي تمثل اللسان القومي الأول لأكثر من

مئة مليون شخص فنرى أن حروفها لا تلتزم بصوت واحد، ويمكن أن نوضح –بإيجاز–التمثيل الصوتي لحروف اللغة الألمانية على النحو الآتي:

1- حروف متحركة: وهي حروف تنطق مثل اسمها بدون مد وهي: (a,o,i,e,u)، وقد تمد هذه الحروف صوتيًا في بعض الحالات حسب تكوين الجملة.

2- حروف مركبة: وهي عبارة عن حرفين متحركين يُخرجان صوتًا واحدًا عند النطق بهما، نحو (ie) فهي تنطق بصوت (e) في الإنكليزية.

3- حروف الإمالة: وهي حروف متحركة وعند النطق بها تُمال ناحية الكسر، وهي ظاهرة قد تنفرد بها اللغة الألمانية، وتُعد عسيرة على غير الألماني، وهذه الحروف: (ä,ü,ö).

4- الحروف الساكنة: وهي حروف يختلف في الغالب نطقها عن مسماها، نحو حرف (C) مركبًا مع حرف (H) فإذا سُبِق بـ (u,o,a) أو المركب (au) فإنها تنطق بصوت (الخاء) نحو: (nach). وتنطق بصوت (الشين الخفيفة) بعد (ä,ü,ö,i,e) أو بعد (äu,eu) نحو: (Bäuche)، وتنطق بصوت (X) إذا وقع بعدها حرف (S) نحو: (sechs)[17].

وصفوا الصوت العربي بصعوبة النطق، إلا أننا لا نقف في العربية على توالي أكثر من صامتين خشية تعكر النطق، قال برتيل مالمبرج: "وقد قبلت اللغات الأوربية تجاور أكثر من صامتين في داخل كلماتها، ففي كلمة concret تجاورت النون والكاف والراء، وفي كلمة construction تجاورت النون والسين والتاء والراء، وذلك طبقًا لنظام مقطعي خاص بها، وهو غير مقبول في ذوق العربية"[18].

- **الكتابة:**

يُعد نظام الكتابة في اللغات السامية بشكل عام والعربية بشكل خاص نظام سهل بالنسبة لبقية اللغات، قال والترج أونج: "والعرب ... يتفقون بشكل عام على أن كتابتهم كتابة أبجدية. ومن أجل فهمٍ لتطور الكتابة من الشفاهية، ربما أمكننا أن نفكر في الخط السامي على أنه أبجدية من حروف صوامت (وشبه صوامت) يستطيع القراء في أثناء قراءتهم أن يضيفوا إليها الحركات المناسبة ببساطة وسهولة"[19].

تناول الحرف العربي الكثير من الدعاة لهدمه أو تضعيفه بدعوى أنه لا يفي بالغرض، مع أنه حمل المعنى وحافظ على اللغة لأكثر من 1700 عام.

قال برتيل مالمبرج: "قد خدعت الكتابة العربية الأجيال منذ سيبويه حتى الآن، فاستمروا في ترديد كثير من القواعد الكتابية (الناشئة عن الكتابة)، دون أن يعبروا التفاتًا إلى التحليل الأصواتي"[20].

فرأى بعضهم استبدال الحرف العربي بالحرف اللاتيني، أو اختراع حرف جديد محل الحرف العربي، ونادى فريق آخر بأن يبقي على الحرف العربي، ولكن بعلامات ضبط جديدة، وجاء رأي ثالث بأن نبقي على الحرف والعلامات شريطة أن نضع العلامات بجنب الحرف[21]. وسنوضح أهم ما جاء في الكتابة العربية على النحو الآتي:

استبدال الحرف العربي: ومن الدعاوى التي مسّت الحرف العربي دعوى استبدال الحرف العربي بالحروف اللاتينية، وإن هذه الدعوة "قديمة تعود إلى 1880م حيث دعا (ولهام سبيتا) ... إلى العامية وكتابتها بالحروف اللاتينية، واستمرت هذه الدعوة بوجوه مختلفة، حتى تقدم (عبد العزيز فهمي) بمشروعه 1942م إلى مجمع اللغة وكان اتجاه جملة من المشاريع معه تشبيهًا بما فعله (أتاتورك) في تركيا"[22].

وهي دعوى أنشأها الاستعمار بهدف تمزيق الوحدة العربية، وإبعاد العرب عن قوميتهم وقرآنهم، قال تيودور نولدكه: "ويجوز أن يكون أصعب من ذلك آمال الخطة التي شُرع فيها حديثًا من جانب الإنجليز، والتي تهدف إلى كتابة اللهجة الأدبية المصرية بالحروف اللاتينية"[23].

وقال أنيس فريحة: "نحن نسلم أن في العربية نواحي خير كثيرة ... ولكن هذه لا تنفي عنها بعض المشاكل الملازمة لها والتي تجعل منها لغة من أصعب اللغات. هذه المشاكل تنحصر في أربعة أمور: (أ) الحرف العربي ... (ج) صعوبة ملازمة اللغة في حرفها ونحوها..."[24].

نقول لمن دعا إلى استبدال الحرف العربي: هل نستبدل حرفًا قام بدوره على مرّ أكثر من 1700 عام بحرف ما يزال أهله يَشْكُون من صعوبته، ويحاولون بين حين وآخر أن ييسروا فيه؟!، ففي "أواخر القرن التاسع عشر عالج الألمان أساليب رسمهم القديم وأصلحوا كثيرًا من نواحيه. ومثل هذا حدث منذ عهد قريب في مملكة النرويج، ثم في جمهورية البرازيل. وقد بدت بهذا الصدد محاولات إصلاحية كثيرة في البلاد الواطئة (هولاندا) وانجلترا والولايات المتحدة"[25].

ويُردّ على هذه الدعوى أن أهل الحرف اللاتيني قد تركوا حرفهم –سابقًا– وكتبوا بحرفنا حين أدركوا ميزته، قال المستشرق دوزي: "كما أبهر الأدب العربي الكثيرين من أصحاب الذوق الرفيع فاجتذبهم إليه حتى نبذوا الأدب اللاتيني وانصرفوا للكتابة بلغة الفاتحين دون سواها"[26].

وممن اندفع وراء هذا الخيال عبد العزيز فهمي حين قال: "إنما لهذه اللغة الجميلة آفة خبيثة هي رسم كتابتها. إنّ هذا الرسم على ما في مظهره الآن من جمال لهو علَّة العِلل، وأُسُّ الداء، ورأس البلاء. إنه سرطانٌ أزمَنَ فشوَّه منظر العربية وغشَّى جمالها، ونفَّر منها الوليَّ القريب والخاطب الغريب"[27].

واقترح الحرف اللاتيني بدل العربي، وعندما سُئل كيف تريد رسم القرآن؟ قال: إن الحروف اللاتينية بما فيها من حروف الحركات وما يُضاف إليها من حروفنا العربية ستشكل رسمًا يستطيع المسلم وغير المسلم والعربي والأعجمي قراءته بسهولة، ولو كان الرسم العربي للقرآن فيه قدسية لما خرقه عبد الملك بن مروان والحجاج فوضعوا التنقيط له[28].

ويمكن أن نجيب بأن عبد الملك بن مروان والحجاج لم يغيروا الحرف العربي، بل قاموا برسم نقط الحروف- إعجامها- وهي موجودة، فعندما نقول مثلا: (حرح) بدون إعجام، و (خرج) بإعجام، فالفرق بينهما أننا أظهرنا التنقيط؛ لتسهيل القراءة.

ومن أسباب دعوى استبدال الحرف العربي بالحرف اللاتيني أن بعض الحروف العربية تتشابه فيما بينها نحو: (ح، خ، ج) و(د، ذ) و (ر، ز)، ولكننا عندما نتابع الحروف اللاتينية المقترحة لترجمة أصوات العربية نجدهم جعلوا لصوت (س) (S) ولصوت (ش) (Š) ولصوت (ص) (Ṣ) ولصوت (غ) (ġ) ولصوت (ج) (ǧ) وغيرها[29]، أليست هذه الحروف متشابهة أيضًا؟

ثمّ أننا نجد ممن أراد أن يغير الحرف العربي بالحرف اللاتيني نحو عبد العزيز فهمي قد قال في هذه الحروف: "إن في اللغة العربية ثلاث عشرة نغمة صوت جوهرية، كلها خاصّة بها إلا ما ندر، وكل منها يؤديه حرف هجائي مفرد، ولا تؤدي حروف الهجاء اللاتينية المفردة شيئًا منها ... والذي عنَّ لي بعد طول تفكير أن الهمزة والجيم والحاء والخاء والصاد والضاد والطاء والظاء والعين والغين، هذه الأحرف العشرة يجب أن تؤدّى بذات رسمها العربي"[30].

إذا كان الحرف العربي يشكل صعوبة عند بعضهم؛ لأنّه متشابه في بعض الأصوات كـ (ح، خ، ج) وهنا يدعو عبد العزيز إلى رسم الحروف العربية باللاتيني، مع الإبقاء على بعض الحروف العربية، ومن ضمنها المتشابهة، مما سيوقعنا بإشكالين من إشكاليات زعمهم: الأول: أننا لم نعالج الحروف المتشابهة، والثاني: ستبقى عشرة حروف برسمها العربي مما سيؤدي إلى صعوبتين: الأولى: أن الحروف العربية ما زالت موجودة، والثانية: على القارئ أو الكاتب أن يفهم رسم الحرف العربي واللاتيني، فاللغة حينها ستكون خليطًا ما بين رسم عربي ولاتيني.

صعوبة رسم الحركات: ومنهم من قال بصعوبة رسم الحركات، وأن العربية لا تُشكِل حروف الكلمات كلها، مما يؤدي إلى صعوبة قراءتها، قال جان كونتينو: "ورغم ما في هذا النظام من وضوح وسهولة فقد قل استعماله في ما عدا القرآن، اللهم إلا إذا أرادوا ضبط كلمة من الكلمات. فبقيت الكتابة العربية كأنها ضرب من الاختزال يجب فهمه أولا كي تتسنى قراءته"[31].

فالحركات توجّه الدلالة وتوضح المعنى، ثمّ أن الكلمة العربية قد لا تحتاج إلى بيان جميع حركاتها، بل أن نضع العلامات التي تؤمن اللبس، حتى قالوا: أشْكِل ما يُشْكِل.

قال هنري فلايش: "توجد قضية أساسية تتمثل في الكتابة العربية التي ما زالت تخضع لوضع اختزالي، ولا أدعو إلى التخلي عن الخط العربي، بل أدعو إلى تكييفه بالحركات"[32].

فوقعت أغلب المشاكل –كما يزعمون– في العلامات الإعرابية (الصوائت) للحروف، وإذا كان "ابتداع الكتابة أعظم اختراع حققته البشرية عبر تاريخها الطويل ... فإن النقوش التي خلفها الأقدمون تؤكد أنّ أقدم أبجدية تعود إلى العهد العروبي الأكادي البابلي ثمّ الفينيقي"[33].

وجميع هذه اللغات من الفصيلة (السامية) وهي فصيلة مُعربة، فأعظم اختراع للكتابة في تاريخ البشرية جاء به الإعراب؛ وذلك لِما في الإعراب من دقة للمعنى وسعة في الأساليب. فكيف يكون مشكلاً؟!

ثمّ إنّ لحروف المدّ –الصوائت الطويلة– ميزة تضيفها لدلالة الكلمة تفرّدت بها العربية عن غيرها من اللغات، فهي تفيد قصد المبالغة في النفي أو التأكيد أو التنبيه، أو التعظيم، كما في قوله تعالى: (لا إله إلا الله)، وهذه الميزة اقتصرت للعرب دون غيرهم [34] .

بين اللفظ والرسم: ومنهم من رمى العربية أنها تلفظ حروفها ولا تكتبها، وتكتب حروفًا ولا تنطقها، وهذا الأمر يندر في العربية، أما في لغات تُنسب لها العالمية فهي ظاهرة شائعة، "فكثيرًا ما يرسم حرف زائد أو حروف زائدة ليس لها مقابل صوتي في النطق مثلا (مائة) في العربية، و(loup) في الفرنسية، و(thumb) في الإنجليزية. وكثيرًا ما تشتمل الكلمة على أصوات لا تمثلها حروف في الرسم، مثل (هذا) في العربية، (picture) في الإنجليزية. وكثيرًا ما يرسم في الكلمة حرف أو أكثر للتعبير عن صوت غير الصوت الذي وضع له (dompter) في الفرنسية، (of) (ocean) (enough) في الإنجليزية"[35].

هيكلية الكتابة: ومنهم من جعل من مميزات العربية مساوئ بحسب زعمه، قال عبد العزيز فهمي: "وانظر هل تجد في رسم أية لغة من لغات أُمم الحضارة أن هيكلاً يحوي في تجاويفه أربع كلمات أو

ثلاثًا أو حتى اثنتين، كما يحوي–في الرسم العربي– هيكل (علَّمتَنِيه) أربع كلمات، وهيكل (علَّمْته) ثلاثًا، وهيكل (علَّمتَ) اثنين؟ ألا ترى أن تلك الهياكل العربية هي أشكال سرطانية"[36].

نقول: إن هذه ميزة لها لا مشكلة، فاللغة هي رموز تحمل دلالات وكلما كان الرمز يسيرًا ودلالته كبيرة حسُن، فكيف إن حمل رمز واحد –هيكل واحد– على أكثر من دلالة؟! ثمّ أن هذا الأمر استعمله القرآن الكريم منه قوله تعالى: ﴿فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ﴾[37]، فهذا الهيكل يضم (ف) حرف عطف، (أسقي) فعل، (نا) ضمير، (كمو) ضمير، (ه) ضمير. وإذا ما أردنا أن نترجم هذا الهيكل الواحد إلى لغة أخرى نحو الإنجليزية فنقول: (and We gave it to you to drink) فنرى أن هيكلا واحدًا في اللغة العربية قابله ثمانية هياكل، والمعنى الدلالي واحد، إلا أن المتكلم سيحتاج إلى وقت أكثر وجهد أكثر، والمستلم أيضًا، إنما الإعجاز في الإيجاز.

ثمّ أن الكتابة الصينية أصعب نظم الكتابة بين اللغات عالميًا، ولم نقف على منتقد ومبدل لها، قال والترج أونج: "ولا تزال رموز الكتابة الصينية حتى اليوم مصنوعة أساسًا من الصور، لكن الصور منمطة ومنسقة بطرق معقدة تجعلها بالتأكيد أعقد نظم الكتابة التي عرفها العالم على الإطلاق"[38].

الكتابة العربية والعلوم: وزعموا أن تأخر العرب اليوم في العلوم والتكنولوجيا يرجع إلى لغتهم الصعبة، قال عبد العزيز فهمي: "إن اللغة العربية من أسباب تأخر الشرقيين؛ لأنّ قواعدها عسيرة، ورسمها مضلِّل. فمن تَحدُثُ في نفسه فكرة مفيدة للناس ويحب نشرها فيهم بالكتابة أو الخطابة يأخذه خوف انتقاد عبارته فيكتم فكرته في نفسه ويُميتها"[39].

فنقول: إن الكتابة العربية ليست علّة تأخر العرب اليوم، لأن هذه الأمّة كانت أرفع وأقوى الأمم يوم كانت كتابتها أعسر وأقرب إلى اللبس لقلة الشكل والإعجام، وكانت الأمم التي تستعمل حروف الحركة في أوربا تعيش من العصور المظلمة ما تعيش، وتعتمد على العرب في علومهم وترجمة كتبهم، منهم جابر بن حيان (199هـ) في الكيمياء والصيدلة، والخوارزمي(232هـ) في الهندسة، والحسن بن الهيثم (430هـ) في البصريات، ، وابن زهر الأشبيلي (557هـ) صاحب كتاب الجراحة، وابن النفيس في الطب (687هـ)، وغيرهم كثير[40].

قال غوستاف لويون: "إننا لم نطلع على علوم قدماء اليونان والرومان إلا بفضل العرب، وأن التعليم في جامعاتنا لم يستغنِ عما نُقل إلى لغاتنا من مؤلفات العرب إلا في الأزمنة الحاضرة"[41].

والحقيقة أن مَن لا يمتلك مهارة الكتابة يقينًا سيجد صعوبة في الكتابة، لأنّ الكتابة تُعد "من أهم المستويات اللغوية، إذ تسبقها مهارة الاستيعاب، والمحادثة، والقراءة، وإذا فشل الطالب في اكتساب هذه المهارات الثلاث فإنه سيواجه صعوبة في تعلم مهارات الكتابة، وبخاصة الإملائية منها"[42].

الكتابة بين العربية واللغات:

1- الكتابة العربية كتابة فونية، أي: كتابة صوتية، فيستطيع العربي أن يقرأ أي كلمة وأن يكتب أي كلمة بمجرد معرفة الحروف العربية، بينما صاحب اللغة الفرنسية أو الإنجليزية لا يستطيع أن يقرأ كلمة أو ينطق كلمة ما لم يكن قد حفظها من قبل[43]، فكلمة (deer) و(dear) فهي تنطق بصوت واحد، إلا أن الأولى معناها غزال والأخرى عزيزي، وكذلك (meet) يقابل، (meat) لحم، و(weak) ضعيف، و(week) أسبوع، وهلم جرا.

2- يعبّر الحرف العربي عن الصوت نفسه، فلكل حرف عربي صوت ولا يأتي هذا الصوت مع حرف آخر، كما أن هذا الحرف لا يأتي بصوتين إطلاقًا، بينما في اللغة الإنكليزية مثلا قد يأتي الحرف الواحد بأكثر من صوت مثل (c) فهو يأتي بصوت (سي) نحو: (City) و(Center)، ويأتي بصوت (كَ) نحو: (Cat)، ويأتي بصوت (ش) نحو: (Ocean) و(social)، ويأتي بصوت (تش) نحو: (Choose)، فهذه أربعة أصوات لحرف واحد، وعلى المتكلم أن يحفظ أربع قواعد لأجل معرفة الصوت الصحيح للحرف، فهل قواعد الكتابة في الإنجليزية سهلة والقواعد في العربية معقدة ومستحيلة؟!

وكذلك اللغة العبرية ففيها ستة أحرف تسمى (بجد كفت) تنطق كل واحد منها بصوتين، أحدهما كونه معجمًا والآخر في حال كونه مهملاً، وتنطق الطاء تاءً، والعين همزة، والحاء فاءً، والقاف كافًا، وتنطق الصاد على الطريقة الألمانية (تسس)، ووجود أكثر من حرف للصوت الواحد نحو صوت الكاف، فهو ينطق بالكاف الأصلية وكذلك عبر حرف القاف[44].

3- تتميّز الكتابة العربية بأنها (اشتقاقية)، ممّا يساعد المتكلم على وحدته الفكرية، وتذكّر الكلمات وترابطها مع بعضها البعض في وحدة دلالية، وذلك أن المتكلم إذا أراد أن يأتي بكلمة لها علاقة بالكتابة مثلا فسيجد الجذر (ك ت ب) في جميع المفردات وهي: (كَتَبَ، يَكْتُبُ، أكْتُب، تكْتب، تكتبين، يكتبان، تكتبان، يكتبون، تكتبون، أكتبي، أكتبا، أكتبوا، كتابٌ، كتابان، كُتُبْ، مكتبة، مكتبتان، مكتبات، كتابة، مكتوب، كاتب ...) مما يُسهل عملية الحفظ والتذكر عبر الوحدة

الفكرية، أما في اللغة الإنجليزية مثلا فسنجد ألفاظًا مختلفة ولا تتشابه لا بصوت ولا كتابة، نحو: (writing, letter, library, book, Write...)، وفي اللغة الفرنسية مثلا: (Bibliothèque livret, letter, Il écrit, ...). يقول الدكتور أنيس فريحة: "الاشتقاق، وكان يجب وضع هذه الخاصة في رأس قائمة الصفات المميزة للعربية فإنها صفة تغني اللغة كثيرًا"[45].

4- الوحدة العربية: تتميز الكتابة العربية ومنذ القِدم بوحدة كتابتها، فلا تختلف تبعًا لطائفة أو قبيلة أو دولة، فهي محافظة على أصواتها ورسم حروفها، في حين نقف على لغات كالسريانية مثلا نجد أن لها ثلاث كتابات: (الشرقية، والغربية، والخط السطر نجيلي)، وكذلك الحال مع اللغة الإنجليزية فنجد لها أكثر من طريقة للكتابة، كما هو الحال في الإنجليزية البريطانية والإنجليزية الأمريكية، نحو: (labour, labor, jail, goal)[46] .

5- تخلو الكتابة العربية-غالبًا- من الشواذ، فقليلا ما نقف على حروف تكتب ولا تلفظ نحو (عمرو) و (قاتلوا)، مع أن لهذه الحروف دلالاتها، أو حروف تلفظ ولا تكتب نحو: (هذا) و (لكن)، وهذه مسألة يسيرة لقلة ألفاظها، فيستطيع الطالب في مرحلة المتوسطة أن يحفظها، ولا نقف على أخطاء كثيرة فيها. أما بالنسبة إلى اللغة الإنجليزية (العالمية) فنقف على أحد عشر حرفًا يكتب ولا يلفظ، نحو (C) فهو لا يلفظ بعد حرف(s) نحو: (scientist)، وحرف (D) لا يلفظ بعد (e) نحو: (Wednesday)، وحرف (G) لا يلفظ بعد (i) ولا قبل (n) نحو: (design)، وحرف (H) لا يلفظ قبل (a,e,I,o,u) نحو: (hour)، وحرف (K) لا يلفظ عندما يأتي قبل حرف (n) وخاصة في بداية الكلمة نحو: (knife) فهذه كلمة مكونة من خمسة حروف وتنطق بثلاثة فقط، وكذلك حرف (N) لا يلفظ بعد حرف(m) نحو: (autumn)، وحرف (P) لا يلفظ قبل (t,s,b) نحو: (cupboard)، وحرف (T) لا يلفظ بعد (s) وقبل (t) نحو: (Christmas)، وحرف (U) لا ينطق بعد حروف (g,c) نحو: (biscuit)، وحرف (W) لا يلفظ قبل (r) نحو: (wrong).

6- يستطيع العربي اليوم أن يقرأ الكتابة العربية التي كتبت قبل أكثر من قرن ونصف، فهي محافظة على أصواتها ورسم حروفها، في حين نجد "الفيلسوف الفرنسي رنيه ديكارت 1596- 1650م مثلاً أول من كتب باللغة الفرنسية، حيث كان الفرنسيون يكتبون قبل ذلك باللغة اللاتينية ...

وتشعبت لهجات قسم منها إلى لغات منفصلة كتحول الفرنسية والإيطالية والإسبانية والبرتغالية والرومانية الحديثة من لهجات لاتينية منفصلة"[47].

7- إن جميع من دعوا إلى تغيير رسم الحرف (العربي) بالحرف (اللاتيني) نجدهم يسمونه (الحرف العربي)[48]، فهم يؤمنون أن للعربية رسمًا وإلا لم يطلقوا عليه (عربي)، ولماذا نأخذ من لغة أخرى رسم حرفها وأنتم تقولون (لاتيني) فهو رسم مختص باللغة اللاتينية.

- **الأبنية:**

تأتي الأبنية في جميع اللغات بعد المستوى الصوتي، فبعد اجتماع أصوات الحروف مع بعضها البعض تُشكّل أبنية الكلمات، وتحتل هذه الأبنية مكانة مهمة في اللغات؛ كونها تحمل المعاني المراد التعبير عنها، وفي اللغة العربية يعتمد بناء الكلمة على"الصوامت والصوائت بوصفها فونيمات، فتؤدي الصوامت المعنى الأصلي للكلمة، وتقوم الصوائت بتعديل المعنى وتخصيصه للدلالة على صيغة مُحددة"[49]، فهذه ميزة من مميزات العربية أنها تفرق في مدلول الألفاظ بأصواتها الصائتة دون تغير أصواتها الصامتة، وذلك نحو: كَتَبَ، كُتِبَ، كُتُب.

ومن سهام الظلم التي ترمى على العربية اليوم أنها لا تستطيع مواكبة الحداثة في مفرداتها، وأن هذه المفردات عاجزة على تسمية المسميات الحديثة. قال أنيس فريحة: "عَجْزُ العربية عن اللحاق بالعلوم والفنون؛ وذلك لأنّ معظم هذه التعابير الجديدة والمصطلحات المحددة معنى واستعمالا لم تك يومًا من المعجم العربي"[50]. وقال سلامة موسى: "والعلوم تحتاج إلى الدقة وقبل كل شيء الدقة. ولغتنا بنقص حروف العلة وأيضًا خلوها من الزوائد والأصول المشتقة من اللغتين اللاتينية والإغريقية لا يمكنها أن تفي بحاجاتنا في التعبير العلمي"[51].

وعجبًا لأنيس فريحة فقد قال في كتاب آخر: "تمتاز العربية بخصائص لغوية تجعل منها لغة غنية تستطيع أن تساير التطور الحضاري والفكري، بدليل أن العربية استطاعت في العهود الإسلامية المختلفة أن تستوعب الفكر الدخيل، والعِلم الدخيل، وأن تعبّر عنهما بلغة صافية"[52].

ثمّ نقول: هل المصطلحات العلمية الحديثة كانت تعرفها اللغات الأخرى قديمًا؟ هل كانت تعرف اللغة الإنجليزية أو الفرنسية أو غيرها مصطلح (الإنترنت) وغيره؟ أم أنهم استحدثوا هذه المفردات لحاجتها، فهل الاستحداث في لغاتهم أمرٌ يسيرٌ وفي عربيتنا (الاشتقاقية) أمر مستحيل وفي غاية الصعوبة؟!

ثمّ إن أنيس فريحة نفسه يمدح العربية وميزتها الاشتقاقية فيقول: "أما الاشتقاق فعملية خلق وابداع في اللغة، فمن الجذر الواحد أو المادة الواحدة كما سمّاها القدامى نستطيع نظريًا أن نشتق أكثر من ألف كلمة"(53).

ثمّ إن بعض اللغات– العالمية– قد اشتقت بعضًا من مفرداتها من اللغة العربية، فإذا كانت اللغات تستطيع أن تشتق من اللغة العربية ألا تستطيع هذه اللغة أن تشتق مفردات جديدة من لغتها ولها؟! قال غوستاف لويون: "وقد ألّف دوزي وأنجلمن معجمًا في الكلمات الإسبانية والبرتغالية المشتقة من اللغة العربية، وتركت لغة العرب أثرًا مهمًّا في فرنسة نفسها، وذكر سيديّو والحق ما ذكر(أن اللهجات السائدة لولاية أوڤِرن وولاية ليموزان الفرنسيتين محشوة بالكلمات العربية، وأن أسماء الأعلام فيهما ذاتُ مسحة عربية)"(54).

والكلمات العربية قادرة على الإيفاء بالمعنى بدقة، قال تيودور نولدكه: "وقد وضع أمامنا علماء اللغة العرب باجتهادهم أبنية اللغة الكلاسيكية، وكذلك مفرداتها في حالة كمال تام ... وأنه لابد أن يزداد تعجب المرء من وفرة مفردات اللغة العربية، عندما يعرف أن علاقات المعيشة لدى العرب بسيطة جدًا، وبلدهم ذو شكل واحد متغير، ودائرة تفكيرهم لذلك محدودة جدًا، ولكنهم في داخل هذه الدائرة، يرمزون للفرق الدقيق في المعنى بكلمة خاصّة"(55).

ونرى المستشرقين أنفسهم يفصحون عمّا في عربيتنا من دقة ألفاظها، وسهولة تعبيرها، ورقيها بين اللغات، قال دي بور: "وكانت هذه اللغة بما حوت من كثرة في مفرداتها ووفرة في صور التعبير، وبما في طبيعتها من قبول للاشتقاق خليقة أن تتبوأ مكانها بين لغات العالم؛ ولو قارنّاها باللغة اللاتينية، في ثقلها وقلة مرونتها، أو باللغة الفارسية في فرط إسهابها، لوجدناها تمتاز عليهما بما فيها من صور لفظية قصيرة تدل على المعاني المجرّدة؛ وهذه خاصة عظيمة النفع في ممارسة العلوم، فنحن نستطيع أن نعبّر بهذه اللغة العربية عن أدق الفروق بين المعاني"(56).

ومن الطبيعي أن يشكو البعض من صعوبة الأبنية العربية وكتابتها ونطقها؛ وذلك لذهاب سليقتها، فالعربي اليوم لا يستعمل الأبنية الصحيحة للغته إلا في بعض المخاطبات الرسمية بين حين وآخر، فأضحى العربي يتكلم لغة غير لغته، ويكتب في مواقع التواصل بلغة غير لغته، فإذا ما جاء لينطق بالعربية ويكتب بها وجد الصعوبة؛ لعدم ممارسته لها فلا يملك مَلكة مفرداتها وأسلوبها.

فالعربية هي هي كما كانت في سابق عصرها، إلا أن من ينتسبون إليها هم في شدّة من أمرها، فإن كانت هناك دعوى للإصلاح فيجب أن تستهدف من يريد أن يتكلم بها، فالجوهر ثابت والعارض متغير.

ولا ندعو إلى استعمال كل ما ورد عن العرب، فمن شروط الفصاحة أن لا تكون الكلمة غريبة، وسهلة النطق، سريعة الفهم، كثيرة الاستعمال، وهذا ما نبّه عليه أهل الصناعة قديمًا، قال ابن فارس: "وكانت قريش، مع فصاحتها وحُسن لغاتها ورِقَّة ألسنتها، إذا أتتهُم الوُفود من العرب تخيّروا من كلامهم وأشعارهم أحسنَ لغاتهم وأصفى كلامهم. فاجتمع ما تخيّروا من تلك اللغات إلى نَحائرهم وسَلائقهم التي طُبعوا عليها. فصاروا بذلك أفصح العرب"(57).

ولو أنا اليوم انتقينا أطفالًا من مُدن شتى ووضعناهم في بيئة لا يتكلم أهلها إلا الفصحى، فسنرى سرعان ما يتعلم هؤلاء الأطفال النطق الصحيح، والكلام على سنن العربية دون معرفتهم بالقواعد أن هذا فاعل وذاك مفعول.

ولو أنّ الإرادة والجَدَّ توافرا عندنا لنكتب وننطق بالفصحى وبذلنا جهدنا قدر المستطاع لتحقيق ذلك، باستعمال التقنيات الحديثة وتكييفها–لغويًا– مع العربية، فمن المؤكّد أننا سنصل بأنفسنا إلى فصاحة قد تضاهي فصاحة بادية العرب في وقتها، نعم سيشيع اللحن في بادئ الأمر وسيكثر إلا أنه سرعان ما سيذوب ويضمحل بالدربة على القراءة والقول والكتابة بالعربية، وسيقل شأن اللحن شيئًا فشيئا.

ولذلك يقول محمود تيمور: "وأكاد أقول بأن هذه البيئة الثقافية بما فيها من مقروء ومسموع، لو شاع فيها الضبط، لأصبحت أقوى أثرًا من تلك البيئة البدوية التي كان الخلفاء والأمراء يبعثون إليها بأبنائهم في فجر الإسلام وضحاه، لاكتساب العصمة من اللحن في الإعراب، والسلامة من الخطأ في تصريف الكلام"(58).

مميزات الأبنية العربية بين اللغات:

1– الأسماء: تتميز العربية بتخصيص كلمة لكل معنى، وربما كلمات، ونرى بعض اللغات–العالمية– تشكو اللبس عندما تشترك أكثر من دلالة اسم ببناء واحد، وذلك نحو كلمة (uncle) في الإنجليزية فهي تدل على العم والخال في وقت واحد، وكلمة (aunt) فهي تدل على العمة والخالة في وقت واحد، وأمثال ذلك كثير.

2- أسماء الإشارة: كذا هو الحال في أسماء الإشارة، فالعربي عندما يقول لك (هذا) تعرف أنت أنه يشير إلى مفرد مذكر، وعندما يقول لك (هذه) تعلم أنه يشير إلى مفرد مؤنث، لكن في اللغة الإنجليزية عندما تقول: (this) فلا تعرف أمذكر أراد أم مؤنث. وغيرها كثير.

3- تأنيث الأفعال وتذكيرها: تتميز العربية بدقة التعبير، فعندما تقول: (قرأ) فإنك تريد مفرد مذكر، وعندما تقول: (قرأتْ) فإنك تريد مفرد مؤنث، وفي اللغة الإنكليزية (read) فلا يوجد تخصيص للأفعال للمؤنث والمذكر، فالأفعال واحدة وعليك أن تأتي بقرينة لتُفهم أمذكرًا تريد أم مؤنثًا.

المبحث الثاني:

دعوى الصعوبة المتعلقة بالتركيب والدلالة

تمتاز العربية ببراعة التركيب، وحسن الدلالة ودقة التعبير، وجمالية الأسلوب والنظم، فمن يتذوق حلاوة ديباجتها لا ينصرف عنها وإن كان أعجميًا، ذكر دوزي عن أحد النصارى قوله: "لقد هام أبناء جلدتي النصارى بقراءة أشعار العرب وأقاصيصهم ... لا يهدفون من وراء ذلك إلى دحضها بل يريدون التمتع بديباجتها العربية المشرقة ...وا أسفاه إن جميع شباب النصارى الموهبين لا يعرفون غير العربية"(59).

ومن الدعاوى التي اتهمت بها العربية بأنها صعبة التركيب، وتركيب جملها يحتاج إلى قواعد عسيرة؛ لكونها لغة معربة، ممّا دفع بعضهم أن يدعو إلى حذف بعض الأبواب النحوية، ومنهم من حاول إلغاء الإعراب. فهل تستطيع العربية بقواعدها وإعرابها أن تؤدي المعاني المختلفة بتراكيب يسيرة؟ سنوضح ذلك بتناول (التركيب) و(القواعد) و(الإعراب) وما ذكره أهل الصعوبة في ذلك.

- **التركيب**:

حسن التركيب ميزة العربية تضفي الأناقة للكلام، وما جاء الإعجاز في القرآن إلا في نظمه، قال المستشرق الفرنسي جاك بيرك: "أساس اللغة لا يقوم على ما تحتويه من كلمات وإنما يقوم على تركيبها الخاص"(60).

وقال غوستاف لويون: "واللغة العربية من أكثر اللغات انسجامًا"(61).

ومعروفٌ أن أيّ لغة تتألف من عنصرين أساسيين هما: المفردات والتركيب، وكل منهما متمّم للآخر، فلو أنّك حفظت جميع مفردات لغة ما، من قاموسها، فهذا لا يعني أنك تستطيع أن

تتكلّم بهذه اللغة، أو أنك تَفهم وتُفهم الناس؛ ذلك لأنك تجهل العنصر الثاني من اللغة وهو التركيب[62].

وتتميز العربية برقة أسلوبها في تركيب جملها، قال الكاتب المسيحي (الفارو): "إن المسيحيين يتملون بقراءة القصائد وروائع الخيال العربية ويدرسون مصنفات علماء الكلام المسلمين لا بقصد تنفيذها بل من أجل التمرن على الأسلوب الصحيح الأنيق"[63].

ومن دعاوى صعوبة العربية وتراكيبها ما قاله أنيس فريحة: "تتميز العربية بميزات لغوية بدائية تجعل منها لغة صعبة معقدة. ومَن يقول لك أن العربية لغة سهلة فإنما يغالط نفسه في الحقائق"[64].

أودّ هنا أن أسجل استغرابًا لهذه الدعوى؛ فقبل صفحتين من قوله هذا، وفي الكتاب نفسه قال: "إن أمر اللغة العربية وقواعدها وتفسير ظواهرها الصرفية والنحوية أيسر مما يظن الناس، وتعلمها ليس بالأمر المستحيل"[65]. ولكن كما يقال: (إذا عُرف السبب بَطُلَ العجبُ)، فإذا عرفنا دوافع فريحة في نيله من العربية بَطُل عجبنا من هذا التخبط والتناقض في أقاويله.

وتتمتع العربية بوضوح التركيب، وسهولة إيصال المعنى؛ وذلك لأن "أصل اللغة: الكلام المفيد، والكلام مكون من كلمات لها ثلاثة أشكال: اسم وفعل وحرف، والإلمام بالعربية والتدريب عليها ليس بالأمر العسير؛ إذ إنها لغة ذات صيغ ثابتة النطق معلومة الدلالة ... ونطق الأسماء العربية أيسر من الإنجليزية أو الفرنسية التي لا يمكن أن تنطق إلا بمعرفة أصوات كل كلمة بعينها"[66].

قال ابن جني: "أما الكلام فكل لفظ مستقل بنفسه, مفيد لمعناه. وهو الذي يسميه النحويون الجمل, نحو: زيد أخوك, وقام محمد، وضُرِبَ سعيد"[67].

وقال أبو حيان التوحيدي: "المعاني هي الهاجسة في النفوس، المتصلة بالخواطر، والألفاظ ترجمة للمعاني، وكل ما صح معناه صح اللفظ به، وما بطل معناه بطل اللفظ به"[68].

وعلّق الدكتور مصطفى جواد قائلاً: "وهذا يدلّ على أن المعاني هي التي تصرف التراكيب وتتصرف بها ولا يصح العكس"[69]. وأيّ لغة أفضل من تراكيب العربية إيفاءً بالمعاني؟!

ومشكلة بعض من ينتسب لهذه اللغة اليوم أنه يؤمن بكل ما يجيء به الغرب دون التفكير والتحقيق، فالنظريات اللغوية مثلا قد استوعبها العرب قديمًا والمشكلة أن العربي وبسبب الهزائم في بعض الميادين أصبح لا يثق ببضاعته، فإذا جاءته النظريات من الغرب يشد العزم لأجل دراستها

وتفعيلها، أما إذا قال بها بنو لغته أصبح يفتش عن نقاط ضعفها ونقدها نقدًا لاذعًا- في الغالب-، فالنظريات الغربية كنظرية بلومفيد صاحب المنهج الوصفي التجريدي الذي يعتمد على الاستقراء، يطربُ عليها دعاة صعوبة العربية، لكننا نسألهم كيف نشأت قواعد العربية وأصولها؟ وكيف وضع النحاة واللغويون النحو ودونوا اللغة؟ ألم يعتمدوا على المنهج الوصفي والاستقرائي وقاموا بوصف اللغة كما كانت عند أهل البادية؟!

وفي العربية من المميزات ما يجعلها في مقدمة اللغات في تكوين الجمل وأداء المعنى، قال تيودور نولدكه: "والعربية الكلاسيكية ليست غنية فقط بالمفردات، ولكنها غنية أيضًا بالصيغ النحوية ... تجعل اللغة أداة طيعة للعب بالألفاظ، وقد انتفع بهذه الخاصية إلى أقصى حد المتأخرون من أهل صناعة الكلام، وفي استعمال الأزمنة لازلنا نرى في العربية الحقيقية آثارًا للحرية... وتهتم العربية بربط الجمل ببعضها أكثر من العبرية ... ومن ميزة العربية الكبرى أنه لا يُغمض فيها أبدًا"(70).

وتتمتع كل لغة بظواهر قد تكون مشتركة مع لغات أخرى وقد تنفرد بها، فالإعراب مثلا هو ظاهرة مشتركة في جميع اللغات السامية، وظاهرة الحذف أيضًا لا تقتصر على العربية فحسب، فهي ليست "بدعًا من اللغات، فالإنجليزية وغيرها من اللغات يقع فيها الحذف، فهي ظاهرة مشتركة، ويعد تشومسكي الحذف عنصرًا من عناصر التحويل في نظريته المعروفة"(71).

- **القواعد:**

إن جميع اللغات الإنسانية لها قواعد، وعلى المتكلم بها معرفة هذه القواعد، قال واترج أونج: "أما قواعد النحو في اللغات الإنسانية الطبيعية فتستخدم أولا ثم يمكن أن تستخلص من خلال الاستخدام ويعبر عنها بشكل واضح في كلمات، وإن كان ذلك لا يتم إلا بصعوبة، ولا يكتمل أبدًا"(72).

أمّا الدعاوى التي قامت على قواعد اللغة العربية فنعرضها في المحاور الآتية مبينًا بطلانها ودوافعها:

صعوبة القواعد: وهي دعوى استعمارية، الهدف منها إضعاف اللغة العربية، وصاروا يبحثون عن بدائل ليبعدوا العرب عن الهوية القومية والدينية، حتى دعوا إلى التكلم بالعامية وإحلالها محل الفصحى.

قال ولفنسون: "وقد شرع بعض علماء الإفرنج في عصرنا الحالي في بحث اللهجات العامية العربية، ووصلوا في بحثهم إلى أن وضعوا لبعضها قليلاً من القواعد اللغوية على قدر ما وسعه إمكانهم واجتهادهم"(73).

وقال نعمة العزاوي: "لم يتعرض نحو أمة من الأمم لمثل ما تعرض له نحو العربية، من هجوم عليه، ونقد لاذع له، فقد شُنّت عليه حملات، كان بعضها ظالمًا، لا يستند إلى أساس، ولا يقدم غير التجريح، وانطوى بعضها الآخر على اقتراحات هي إلى الهدم أقرب منها إلى البناء"(74).

ومنهم من طعن العربية في تاريخها وماضيها، قال أنيس فريحة: "إن العربية الفصحى لم تكن يومًا لغة الكلام كما هو شائع في التقليد العربي، بل كانت لغة أدبية للشعر والغناء"(75).

وهذا كلام مردود من جوانب عدة:

1- يجمع أهل اللغة والتاريخ وغيرهم على أن القرآن الكريم قد نزل بلغة قوم، وهم العرب، ولم ينزل بلغة شعرائهم، وفي القرآن الكريم شواهد كثيرة على ذلك منها قوله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُّدًّا﴾(76).

2- ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم سمع رجلًا يلحن فقال: "أرشدوا أخاكم"(77).

3- ثبت في أكثر من رواية أن العرب كانت تتكلم الفصحى ومَن يخطأ بها ينسب اللحن له، ومنها ما روي أن ابنة أبي الأسود قالت لأبيها: يا أبتِ ما أجملُ السماءِ، فقال لها: نجومها، فقالت: ما هذا أردت وإنما أردت أن أتعجب من جمال السماء، فقال لها: قولي إذن: ما أجملَ السماءَ!.

4- صنّف القدماء مصنفات أطلقوا عليها (ما تلحن به العامة) كما فعل الكسائي (ت189هـ)، وهذا دليل على أنهم كانوا يتكلمون الفصحى، لكنهم يلحنون في بعض الكلمات، فجاءت هذه المصنفات لتصحح لفظهم.

5- كانت العرب وخصوصًا بعد ظهور التدوين يدونون كلّ شيء، حتى أنهم دوّنوا أخبار الحمقى والمغفلين، فلو كانوا يتكلمون بلغة ويستعملون لغة غير الفصحى لدوّنوا بها، ولم يصلنا إلى الآن أيّ نصٍ يدلّ على أن العرب قد استعملوا لغة غير الفصحى في حياتهم.

قال ولفنسون يصف خطورة دخول اللحن إلى الألسن العربية: "فتنبه علماء المسلمين إلى هذا الخطر الذي يهدد اللغة العربية وأدركوا أن عدوى هذا الانحراف ستصيب طبقات الشعراء والأدباء والعلماء ورجال السياسة إن هم لم يعملوا على تلافي أسبابها، فوضعوا القواعد النحوية والصرفية لتكون سياجًا يحول دون تدهور اللغة العربية"(78).

فنقول: متوهم من يدعي أن العربية صعبة، العربية ليست بصعبة ولا سهلة، العربية لغة متطورة لها نظامها وقواعدها، إلا أن الجهل بنظامها والابتعاد عنه أدى إلى نظرتنا إليها بصعوبة.

يقول الدكتور نعمة العزاوي: "وأما القواعد النحوية نفسها فلا يقرّ الدرس اللغوي الحديث بوجود صعوبة فيها، فلكل لغة نظامها الخاص بها"[79].

وقال المستشرق دي بور: "واحتفظ علم النحو العربي بخصائص له ... وهو أثر رائع من آثار العقل العربي بما له من دقة في الملاحظة، ومن نشاط في جمع ما تفرّق؛ ويحق للعرب أن يفخروا به"[80].

وقال ولفنسون: "وقد نجح علماء البصرة والكوفة نجاحًا عظيمًا في جمع المادة اللغوية من أهل البادية، فجمعت بذلك المعاجم والقواعد اللغوية وصارت من أعظم المراجع التي يُعتمد عليها في البحث عن جميع اللهجات العربية من ناحية وفي الموازنة بينها وبين اللغات السامية من ناحية أخرى"[81].

القواعد قديمة لا تواكب الحداثة: رمى بعضهم عربيتنا بسهام التعقيد، ومنهم من قال أنها قديمة ولا تصلح للحضارة الحديثة، قال أنيس فريحة: "كل لغة تخضع لقوانين صوتية وصرفية ونحوية عامة، ولكن هناك ظواهر لغوية عديدة تشذ عن هذه القوانين، ذلك لأنّ اللغة انحدرت إلينا من عصور سحيقة في القِدَم يوم لم يكن هناك منطق ولا اتساق في التفكير، ومظاهر هذه البدائية في اللغة تظهر في الإعراب وفي الجمع والتأنيث"[82]. ثمّ قال بعد صفحتين: "مما لا شكّ فيه أن علم العربية كان في يوم مضى مادّة لإنماء التفكير والقياس والمنطق"[83]. إن هذا اليوم بلا شك هو يوم أن كانت العربية تنطق وتكتب في أفضل صورها، أي في عصور العربية الأولى يوم كانت العرب تنطق بسليقتها ولا تلحن. فلا أعلم كيف رأى أن العصور القديمة للعربية لم يكن فيها منطق ولا اتساق في التفكير؟!

حذف بعض الأبواب النحوية: ومن هذه الدعاوى حذف بعض أبواب النحو، وأن النحو فيه ألغاز، حتى قالوا: "أضحت المادة النحوية تشكّل عبئا ثقيلًا، إذ أصبحت عقول الناشئة تقف عاجزة عن الإحاطة بكل ما في مادة النحو من تعقيد وإغراب وألغاز، يعود السبب إلى كثرة أبواب النحو وتفريعاته"[84].

والأبواب النحوية يُكمل أحدها الآخر، "ولا يصح الإيجاز المُخل وترك معلومات مهمة بدعوى أنها صعبة بدافع التسهيل والتيسير، وذلك أن النسيان يأتي ولابد على قسم من المعلومات، فإن كانت قليلة أتى عليها فلا يبقى منها شيء"[85].

ثمّ أن حذف بعض الأبواب النحوية سيصيب العربية بعجز كما أصاب اللغة العبرية من قبل، وإنما كثرة الأبواب النحوية وصيغها تعد وفرة للعربية وميزة لها.

قال تيودور نولدكه واصفًا اللغة العبرية: "ويوجد بالإضافة إلى ذلك نقص شديد في الأدوات التي يمكن أن تعبر بوضوح عن الربط الدقيق للأفكار. أما استعمال أزمنة الفعل فيخضع كثيرًا للخيال، الذي يرى أحيانًا الحدث الذي لم ينته بعد كأنه انتهى، وبالعكس. وأما المقاطع أو التصريفات الخاصة التي تحور القول تحويرًا بسيطًا فإنها لا توجد إلى نادرًا ... أما في الصيغ النحوية فقد خسرت اللغة العبرية أشياء مختلفة منها، لا تزال اللغة العربية تحتفظ بها؛ ولكن بعض هذه الثروة الكبيرة من الصيغ الموجودة في العربية ليس إلا من كسب العربية وحدها"(86).

منزلة القواعد في العربية: إن صعوبة القواعد التي يدعونها تكمن في قصر فهم البعض لها، فقد يظنها البعض أن القواعد النحوية هي لأجل الإعراب، والتأويل، والتقدير، والعامل والمعمول، وإنما الغاية من وضع الأبواب النحوية وتدوين القواعد ووضع الإعراب هو القول الصواب، فلا نريد منك عندما تكتب أو تتحدث أن تقول: جاء زيدٌ وجاء فعل ماضي مبني على الفتح لأنه مبني لا معرب، وزيدٌ فاعل مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره؛ لأنه من قام بالفعل وهو معمول للعامل، وأُعرِب بالضم لأنه اسم مفرد وعلامة رفعه الضمة. فلا يقول ذو لُب بذلك، بل نريد من العربي أن يقول: جاءَ زيدٌ، ولا يقول: جاءَ زيدٍ.

قال تيودور نولدكه: "وإنّ أعلم علماء النحو ليجعل من أول شخص قادم من البادية بجِماله، ذلك الشخص الذي لم يتعلم، والذي لا يحفظ عشرين آية كاملة من القرآن، ولا يعرف شيئًا من مفاهيم النحو–النظرية– ذلك الشخص يجعل منه النحاة حكمًا فاصلاً، فهل يجوز للمرء أن يقول كذا أو كذا في العربية"(87).

وهذه غاية النحو، قال الجاحظ: "فصل في رياضة الصبي: وأما النحو فلا تشغل قلبه منه إلا بقدر ما يؤديه إلى السلامة من فاحش اللحن، ومن مقدار جهل العوام في كتاب إن كتبه، وشعر إن أنشده، وشيء إن وصفه. وما زاد على ذلك فهو مشغلة عما هو أولى به، ومذهل عما هو أرد عليه منه من رواية المثل والشاهد، والخبر الصادق، والتعبير البارع"(88).

وهذا يُعد من التيسير على من أراد أن يتعلم العربية أو أراد أن ينطق دون لحن، فمن يقول بصعوبة العربية وكثرة أبوابها ومسائلها وعجائب إعجازها وبلاغتها نقول له: لا نريد منك أن تنظم

شعرًا، قل نثرا، ولا نريد منك أن تُطرب بكلامك وقوة بلاغة نظمك، وأن تُجري كلامك باستعارة واقتباس، ولا تشبيه وجناس، يكفينا أن تنطق فلا تلحن، ومن أراد أن يستزيد ففي العربية المزيد.

وقد فطِن نحاتنا الأوائل لهذه المسألة، فوضعوا مصنفات مختصرة يسلم من اللحن فاهِمها، قال الدكتور فاضل السامرائي: "وقد ألف قسم من النحاة منذ زمن مبكر المختصرات النحوية وقد حذفوا منها الفضول ومسائل الخلاف والتعليلات التي لا تفيد المتعلم، وذلك كمقدمة خلف الأحمر (180هـ)، والتفاحة في النحو لأبي جعفر النّحاس (338هـ)، والمُقدمة المحسبة وشرحها لابن بابشاذ (469هـ)، وكُتُب ابن هشام المؤلفة بحسب المراحل التعليمية وغيرها"[89].

والمطالع للمصنفات في اللغة يجدها على قسمين: قسم لمن أراد أن يصون لسانه من اللحن، فهو يسير، وقسم لمن أراد أن يتقن أساليب العربية وفنونها ويتذوق جمالها، فهو على مراحل ينبغي لطالبه التأني والمواصلة. "ومرّ الأيام كفيل بإنشاء جيل جديد من الكُتّاب والمُؤلفين يُغْنَون بقدر كبير أو صغير عن معونة المراجعين والمصححين، وهذا الجيل الناشئ حتمًا متى شبَّ على قراءة ما يقرأ مضبوطًا أتم ضبط، إذ يتعود سلامة النطق وتستقر في أذهانه صيغ الكلمات والجمل مضبوطة معربة، فيكتبها كما ألفتها عينه، ويتلفظ بها كما سمعتها أذنه، وبذلك يقتطف ثمرة النحو والصرف"[90].

- **الإعراب:**

هو درع العربية، وموضح المعنى، وعلامة الفصحى، قال يوهان فك: "إن التحرر من الإعراب قرينة أكيدة على مخالفة الفصحى"[91]. وتناوله أهل الصعوبة بدعوات، نوضحها بالآتي:

إلغاء الإعراب: ولم يسلم الإعراب من غارات النقد، فمنها ما ذهب إليه "جورج الكفوري مثلاً إلى أن الإعراب نقطة الضعف التي من خلالها زاحمت العاميات العربية الفصيحة. كما ذكر أن علماء اللغات ذهبوا إلى أن الإعراب لا يلائم طبيعة الحضارة وقلما يعيش في ظلها طويلاً وإنما يعيش في البادية أو نحوها من أحوال الخشونة أو القوة"[92]. إلا أننا نرى إعرابنا قد عاش في البادية، وفي ظل الدولة الإسلامية في أوج حضارتها الممتدة، كما أنه تألق في مجتمعات تركوا لغاتهم واتجهوا للعربية وإعرابها.

وقال أنيس فريحة: "الإعراب لا يتلاءم والحضارة. نحن نرى في الإعراب، الإعراب في أية لغة بقية من البداوة ... إن الإعراب زخرف لا قيمة له في الفهم والإفهام". وقال أيضًا: "إن الإعراب عقبة في سبيل التفكير. ذلك مما لاشكّ فيه. وسقوطه من اللهجة المحكية خطوة هامّة نحو تيسير الكلام حتى يصبح الكلام طريقًا ممهدًا للفكر"[93].

عجبًا كيف يجرح جسد العربية بمميزاتها مَن ينتسب إليها، ومن يضمد تلك الجراح المستشرقون، فالإعراب يشمئز منه بعض العرب ويرميه بالصعوبة والتعقيد، ويأتي المستشرقون ليصفونه بأنه من مميزات العربية، قال تيودور نولدكه: "وقد شذت حينئذ عن هذه القواعد شذوذًا كبيرًا تلك الأعداد الكبيرة من العرب الخارجين عن الجزيرة العربية، وأصبحوا لا ينطقون حركات الإعراب في آخر الكلمة، وقد عجّل بهذا التغيير الصوتي، الذي يعني ضياع الميزة الكبرى للغة العربية"[94].

وقد عدّ بعض الباحثين هذا الأمر (انحلالًا) "وقد أدّت هذه المصاعب التي يضيق بها الناطقون بالفصحى، أو الحرصاء على النطق بها إلى المناداة بترك الإعراب، واللجوء إلى الوقف. على أن الأخذ بهذه الدعوة لا يرفع جملة ما هنالك من مصاعب، في أوائلها وأوساطها، مما تقتضيه قواعد الصرف، وسماع اللغة. فإذا نودي بأن ننفض عن اللغة إعرابها وصرفها وضوابط كلماتها جميعًا، فلا تسمية لذلك إلا أنه (انحلال لغوي)، إذ هو يُفقد اللغة مقومات من جوهرها الأصيل"[95].

الإعراب والمعنى: والإعراب والمعنى أمران متلازمان، وما جاءت اللغة إلا لأجل المعنى وإذا كان من يحافظ على المعنى –في اللغة العربية– هو الإعراب، فالإعراب وسيلة اللغة للوصول إلى المعنى الصحيح.

إلا أن من الباحثين من رأى أن الإعراب ليس له علاقة بالمعنى، فقديمًا زعم قطرب (207هـ) إلى أن ليس للإعراب صلة بالمعنى، وأنه يؤدي وظيفة صوتية تساعد على وصل الكلام بعضه ببعض، ولذلك من الممكن الاستغناء عنه بأي حركة أخرى يأتي بها المتكلم. قال الزجاجي: "قال قطرب: وإنما أعربت العرب كلامها لأن الاسم في حال الوقف يلزمه السكون للوقف، فلو جعلوا وصله بالسكون أيضًا لكان يلزمه الإسكان في الوقف والوصل، وكانوا يبطئون عند الإدراج فلما وصلوا وأمكنهم التحريك، جعلوا التحريك مُعاقبًا للإسكان، ليعتدل الكلام"[96]. وحديثًا ذهب فؤاد حنا طريزي إلى هذا الرأي أيضًا[97].

وهذا دعوى لا تحتاج إلى كثرة ردّ وبيان، ويكفينا أن نسأل إذا كان الإعراب لا يؤثر على المعنى كيف ستفسر قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾[98]، وقوله: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُۥ﴾[99]؟!.

وكثُرت طرق دعوى إلغاء الإعراب، حتى صار العرب أنفسهم يرددونها من حيث لا يشعرون، فنرى كثيرًا منهم والبعض من المتخصصين يرددون (سكّن تسلم)، فعملوا على تسكين أواخر الكلمات خشية أن يقع في الخطأ، ولأن يقع في الخطأ فيتعلم أفضل من أن لا يقع فيه ولا يتعلم.

ويمكن الرّد على من دعا إلى إلغاء الإعراب وتسكين أواخر الكلمات بأنه مردود من وجهين: "الأول: فإنه لا يحل من المسألة إلا بعضها دون البعض الآخر؛ لأنّ ضبط حركات الحروف ليس ضروريًا في الإعراب فحسب، بل هو أشد ضرورة في بنية الكلمة. وهذا الضبط من جوهر اللغة؛ فإذا أهملنا الشكل ولم نأت بطريقة تقوم مقامه ظل الناس يلفظون الكلمات على غير وجهها الصحيح كما هم الآن يفعلون. وأما الوجه الثاني: فإن في هذا الرأي إهدارًا لصورة اللغة العربية وقضاء على أهم مميزاتها"[100]. أمّا ادعاؤهم في هذين الجانبين إن أحسنا بهم الظن نردّه إلى الجهل الذي يُغيّم على عقولهم، وعجزهم وكسلهم، والإنسان عدو ما يجهل.

الإعراب بين العربية واللغات: والعربية لا تنفرد بالإعراب بين اللغات، فمن اللغات من هي أشد صعوبة وتمسكًا بالإعراب، ومن هذه اللغات اللغة الألمانية ففيها من قواعد الإعراب ما يفوق العربية فهو يغير المعنى كليًا ويستعمل حتى في لغة الشارع، والعلامات الإعرابية ليست بالحركات كالعربية بل بحروف توضع مع الكلمات وربما بتغيير يطرأ على أدوات التعريف أو الضمائر، كما أن القواعد في حالة تحديث مستمر نظرًا لصعوبتها، ومع ذلك نراهم متمسكين بلغتهم[101].

وإذا ما عقدنا مقارنة بسيطة بين إعراب العربية وإعراب اللاتينية سنجد أن اللاتينية شديدة التعقيد والصعوبة، ففي اللاتينية ست حالات تتغير فيها أواخر الأسماء تبعا للفاعلية، والمفعولية، والنداء، والإضافة، والمفعولية غير المباشرة، والآلية، ورموز الإعراب عندهم حروف تختم الكلمات، إلا أن هذه الرموز قد ترمز إلى الفاعلية وإلى المفعولية مثل (um)، مع الأسماء المحايدة (neuter)، كما أن الاسم المفرد في اللاتينية قد يلحق به عشرة مقاطع، أي رموز إعرابية، بينما العربية لا تُلحق بالأسماء سوى حركاتها الإعرابية المعروفة[102].

والإعراب موجود في المصرية القديمة، واللغة الأكادية، والأورجاريتية، واللحيانية، والعبرية، فلماذا يعاب على العربية؟! ولماذا لا يعاب على الإعراب في العبرية وهي اليوم مستعملة وبشتى مجالات العلوم والمعارف وخصوصًا في الكيان الصهيوني.

فاللغة العبرية لغة معربة، كما أن عدد حركات إعرابها تفوق عدد حركات اللغة العربية وبهذا تزيد الصعوبة، وعدد المتحدثين فيها لا يتجاوز سبعة ملايين شخص فقط، فقد احتوت اللغة العبرية الكلاسيكية بشكل عام على خمس حركات أو أكثر، أما العبرية الحديثة فقد احتوت على خمس حركات قصيرة و خمس حركات طويلة بالإضافة للسكون التام والسكون المتحرك[103].

فهذه المزية التي تميزت بها اللغات المعربة قد أضافت ذوقًا لكلامها حرمت منها بعض اللغات، وإنما عجز بعض العرب عن الإعراب لعدم فهمهم له، وهذا أمر طبيعي فأي علم لا تفقه أصوله وأحكامه لا تستطيع تطبيقه أو العمل به.

خاتمة:

- قال الدكتور رمضان عبد التواب: "مُنِيت العربية الفصحى في العصر الحديث، بخصوم حاقدين، من العلمانيين أو الشعوبيين الجدد. وليست تلك الهجمة الضارية الشرسة على الفصحى، إلا جزءًا من الهجوم على الدين الإسلامي الحنيف، فقد فطن أعداء هذا الدين، إلى الارتباط الوثيق بينه وبين العربية الفصحى، وفي يقينهم أنهم إن أزالوها عن مكانتها الراسخة في القلوب، منذ أربعة عشر قرنًا، فقد أزالوا الحصن الأكبر من حصون هذا الدين الحنيف". (العربية الفصحى والقرآن الكريم: 21).
- إذا أردنا أن نعيد الفصحى على ألسنتنا كسابق عهدها الأول علينا أن نمتلك ملكة من سبقنا ولو جزءًا منها ولا تأتي هذه الملكة إلا باقتحام ميدان الفصحى والتكلم بها وممارستها والعمل بها قولا وكتابة.
- القواعد لأجل حفظ اللغة لا لأجل حفظها، واعلم أن اكتساب اللغة لا يأتي من القواعد والقوانين وإنما من التكرار والممارسة، فالدربة في القول تؤدي إلى تعليم اللغات، وإنها طريقة أجدادنا العرب الفصحاء، هكذا حفظوا لغتهم وهكذا يجب أن نصنع، دون الغفلة عن سبل وطرائق التعليم الحديثة.
- ولو كانت العربية صعبة كما يدعون لما تعلمها وعلمها الضرير، ولما برع فيها العجمي، قال ابن النديم: "قال محمد بن زكريا الرازي: قصدني رجل من الصين، فأقام بحضرتي نحو سنة تعلم فيها العربية كلامًا وخطًا في مدة خمسة أشهر حتى صار فصيحًا حاذقًا سريع اليد" (الفهرست: 39/1).
- أما ما يخص الحداثة والمواكبة، فالعربية تواكب الحداثة وتسعى إلى التيسير والتسهيل، ومن التيسير ما طرأ على حروفها منذ القدم، فقد مرّ الحرف العربي بمراحل تطور، منها نقط الإعجام ونقط الإعراب، وتطور نقط الإعجام، ثم تسهيل رسم الهمزة، حتى وصل إلينا الحرف العربي على النحو الذي نكتبه اليوم.

هوامش البحث

([1])العربية دراسات في اللغة: 234.

([2]) لغة القرآن والتكنولوجية: 309.

([3])دروس في علم أصوات العربية جان كانتينو: 11.

([4]) العربية دراسات في اللغة: 2.

([5]) المسلمون في الأندلس: 85- 86.

([6])اللغات السامية نولدكه: 24.

([7]) في التراث اللغوي: 83.

([8]) ينظر: عيوب النطق والكلام في التراث العربي: 14.

([9]) ينظر: دروس في علم أصوات العربية جان كانتينو: 143- 147.

([10]) الشفاهية والكتابية: 141.

([11]) اللغات السامية نودلكه: 14.

([12]) عيوب النطق والكلام في التراث العربي: 14.

([13]) أثر الصوائت في الدلالة اللغوية: 151.

([14]) الخصائص: 1/ 66.

([15]) علم الأصوات مالمبرج: 190.

([16]) اللغة والمجتمع: 71-72.

([17]) ينظر: قواعد اللغة الألمانية: 14- 21.

([18]) علم الأصوات مالمبرج: 168.

([19]) الشفاهية والكتابية: 143.

([20]) علم الأصوات مالمبرج: 82.

([21]) ينظر: ضبط الكتابة العربية: 353.

([22]) جهود العلماء في إصلاح الكتابة العربية: 42، وينظر: الحروف اللاتينية لكتابة العربية: 20.

([23]) اللغات السامية نولدكه: 90.

([24]) تبسيط قواعد العربية: 9.

([25])اللغة والمجتمع: 39- 40.

([26]) المسلمون في الأندلس: 85.

([27]) الحروف اللاتينية لكتابة العربية: 17- 18.

([28]) ينظر: الحروف اللاتينية لكتابة العربية: 32- 33.

([29]) ينظر: دروس في علم أصوات العربية جان كانتينو: 9.

([30]) الحروف اللاتينية لكتابة العربية: 132- 133.

([31]) دروس في علم أصوات العربية جان كانتينو: 173.

([32]) المحارف العربية المنفصلة: 73.

([33]) المحارف العربية المنفصلة: 72.

([34]) ينظر: النشر في القراءات العشر: 1/ 344.

([35]) اللغة والمجتمع: 37- .

([36]) الحروف اللاتينية لكتابة العربية: 18.

([37]) سورة الحجر: آية: 22.

([38]) الشفاهية والكتابية: 139.

([39]) الحروف اللاتينية لكتابة العربية: 126.

([40]) ينظر: تاريخ الدعوة إلى العامية: 216-217، وملامح من تاريخ اللغة العربية: 261.

([41]) حضارة العرب غوستاف: 453.

([42]) مشكلات الكتابة العربية: 110.

([43]) ينظر: علم الكتابة العربية: 52.

([44]) ينظر: علم الكتابة العربية: 56.

([45]) نحو عربية ميسرة: 14.

([46]) ينظر: علم الكتابة العربية: 53.

([47]) علم الكتابة العربية: 54.

([48]) ينظر: نحو عربية ميسرة: 79.

([49]) أثر الصوائت في الدلالة اللغوية: 155.

([50]) نحو عربية ميسرة: 27.

([51]) البلاغة العصرية واللغة العربية: 131.

([52]) نظريات في اللغة: 68.

([53]) نظريات في اللغة: 68، وينظر: نحو عربية ميسرة: 15.

([54]) حضارة العرب غوستاف: 457.

([55]) اللغات السامية نولدكه: 80- 81.

([56]) تاريخ الفلسفة: 55- 56.

([57]) الصاحبي في فقه اللغة: 28.

([58]) ضبط الكتابة العربية: 352.

([59]) المسلمون في الأندلس: 85.

([60])العربية والأمن اللغوي: 12.

([61]) حضارة العرب غوستاف: 455.

([62]) ينظر: تبسيط قواعد العربية: 23.

([63]) لغة القرآن والتكنولوجية: 306.

([64]) تبسيط قواعد العربية: 7.

([65]) تبسيط قواعد العربية: 5.

([66]) بغية السائل من أوابد المسائل: 27.

([67]) الخصائص: 1/ 18.

([68]) البصائر والذخائر: 1/ 174.

([69]) المباحث اللغوية في العراق: 7.

([70]) اللغات السامية نولدكه: 82.

([71]) أثر السياق في البنية النحوية: 3037.

([72]) الشفاهية والكتابية: 44.

([73]) تاريخ اللغات السامية ولفنسون: 219.

([74]) في حركة تجديد النحو وتيسيره: 51.

([75]) تبسيط قواعد العربية: 13.

([76]) سورة مريم: آية: 97.

([77]) أخرجه الحاكم في المستدرك: 2/ 439،حديث رقم 3643.

([78]) تاريخ اللغات السامية ولفنسون: 216.

([79]) في حركة تجديد النحو وتيسيره: 29.

([80]) تاريخ الفلسفة: 59.

([81]) تاريخ اللغات السامية ولفنسون: 216– 217.

([82]) تبسيط قواعد العربية: 20.

([83]) تبسيط قواعد العربية: 22.

([84]) البنية اللغوية والنحوية وجدلية التأويل: 30.

([85]) النحو والتيسير: 66.

([86]) اللغات السامية نولدكه: 41– 42.

([87]) اللغات السامية نولدكه: 76.

([88]) الرسائل للجاحظ: 3/ 38.

([89]) النحو والتيسير: 57.

([90]) ضبط الكتابة العربية: 360.

([91]) العربية دراسات في اللغة: 3.

([92]) النحو والتيسير: 58.

([93]) نحو عربية ميسرة: 123. و184.

([94]) اللغات السامية نولدكه: 80.

([95]) ضبط الكتابة العربية: 351.

([96]) الإيضاح في علل النحو: 70– 71.

([97]) ينظر: في حركة تجديد النحو وتيسيره: 55.

([98]) سورة فاطر: الآية: 28.

([99]) سورة التوبة: الآية: 3.

([100]) اللغة والمجتمع: 157.

([101]) ينظر: قواعد اللغة الألمانية: 13.

([102]) ينظر: من أسرار اللغة: 186- 187.

([103]) ينظر: وكيبيديا: https://u.pw/peRhb2.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

1- أثر السياق في البنية النحوية ومدى إدراك النحاة المتقدمين لهذا الأثر: د. سميح أحمد، حولية كلية اللغة العربية بجرجا- جامعة الأزهر، العدد 15، 1432هـ/2011م.

2- أثر الصوائت في الدلالة اللغوية: د. محمد إسماعيل، مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية، المجلد 32، العدد 1، 2010م.

3- الإيضاح في علل النحو: الزجاجي، تح: مازن المبارك، دار النفائس- بيروت، ط 5، 1406هـ/1986م.

4- البصائر والذخائر: أبو حيان التوحيدي، تح د. وداد القاضي، دار صادر- بيروت، ط1، 1408هـ/ 1988م.

5- بغية السائل من أوابد المسائل: وليد المهدي، دار الراف، 2018م.

6- البلاغة العصرية واللغة العربية: سلامة موسى، مؤسسة هنداوي، 2012م.

7- البنية اللغوية والنحوية وجدلية التأويل: د. عاطف فضل خليل، جامعة الإسراء- الأردن.

8- تاريخ الدعوة إلى العامية وآثارها في مصر: د. نفوسة زكريا، دار نشر الثقافة بالإسكندرية، ط 1، 1383هـ/1964م.

9- تاريخ الفلسفة في الإسلام: ت.ج. دي بور، ترجمة: د. محمد عبد الهادي، دار النهضة العربية- بيروت.

10- تاريخ اللغات السامية: ولفنسون، دار القلم- بيروت، ط1، 1980م.

11- تبسيط قواعد العربية: أنيس فريحة، مطابع المرسلين اللبنانيين، 1952م.

12- جهود العلماء في إصلاح الكتابة العربية: د. زهير غازي، مجلة الذخائر، العدد9، 1422هـ/ 2002م.

13- الحروف اللاتينية لكتابة العربية: عبد العزيز فهمي، مؤسسة هنداوي، 2017م.

14- حضارة العرب: غوستاف لوبون، ترجمة: عادل زعيتر، مؤسسة هنداوي، 2013م.

15- الخصائص: ابن جني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط4.

16- دروس في علم أصوات العربية: جان كانتينو، ترجمة: صالح القرمادي، الجامعة التونسية، 1966م.
17- الرسائل: الجاحظ، تح: عبدالسلام هارون، مكتبة الخانجي، 1384هـ/1964م.
18- الشفاهية والكتابية: والترج أونج، ترجمة: د. حسن البنا، عالم المعرفة، 1994م.
19- الصاحبي في فقه اللغة: ابن فارس، محمد علي بيضون، ط 1، 1418هـ/ 1997م.
20- ضبط الكتابة العربية: محمود تيمور، مجلة مجمع اللغة العربية- القاهرة، المجلد 8، 1955م.
21- العربية الفصحى والقرآن الكريم أمام العلمانية والاستشراق: د. رمضان عبد التواب، مكتبة زهراء الشرق- القاهرة، 1998م.
22- العربية دراسات في اللغة واللهجات والأساليب: يوهان فك، ترجمة: عبد الحليم النجار، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، 2014م.
23- العربية والأمن اللغوي نظرة معاصرة: د. زهير غازي، الشؤون الثقافية العامة- بغداد، 2008م.
24- علم الأصوات: برتيل مالمبرج، ترجمة: د. عبد الصبور شاهين، مكتبة الشباب.
25- علم الكتابة العربية: فيصل البشرى، وفضل الله النور، وحربية محمد، مجلة العلوم الإنسانية- جامعة السودان، المجلد الأول، 2016م.
26- عيوب النطق والكلام في التراث اللغوي العربي: عبد الحميد الأقطش، كلية اللغة العربية- جامعة أم القرى.
27- الفهرست: ابن النديم، تح: إبراهيم رمضان، دار المعرفة- بيروت، ط 2، 1417هـ/ 1997م.
28- في التراث اللغوي: د. مصطفى جواد، تح: د. محمد البكاء، دار الشؤون الثقافية العامة- بغداد، ط1، 1998م.
29- في حركة تجديد النحو وتيسيره في العصر الحديث، د. نعمة العزاوي، مكتبة العين- بغداد، ط1، 1432هـ/2011م.
30- قواعد اللغة الألمانية: د. ماهر بكار، الرياض، 1433هـ/ 2011م.
31- اللغات السامية: تيودور نولدكه، ترجمة: د. رمضان عبد التواب، مكتبة دار النهضة العربية.
32- لغة القرآن والتكنولوجية: عبد العزيز عبد الله، مؤتمر تعريب التعليم العالي- بغداد 1978.
33- اللغة والمجتمع: د. علي عبد الواحد وافي، عكاظ للنشر والتوزيع، ط1، 1403هـ/1983م.
34- المباحث اللغوية في العراق: د. مصطفى جواد، دار المعرفة- القاهرة، 1955م.
35- المحارف العربية المنفصلة والكتابة المشكولة: د. حلام الجيلالي، مجلة اللسان العربي- الرباط، العدد 52، 1422هـ/ 2001م.

36- المستدرك على الصحيحين: الحاكم النيسابوري، تح: مصطفى عبد القادر، دار الكتب العلمية– بيروت، ط 1، 1411هـ، 1990م.

37- المسلمون في الأندلس: رينهارت دوزي، ترجمة: د. حسن حبشي، مطابع الهيئة المصرية العامة، 1998م.

38- مشكلات الكتابة العربية وأسباب الأخطاء الإملائية وطرائق علاجها: د. عبير الشبيل، مجلة المَخبَر– الجزائر، العدد 13، 2017م.

39- ملامح من تاريخ اللغة العربية: د. أحمد الجنابي، دار الرشيد للنشر، 1981م.

40- من أسرار اللغة: د. إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، ط8، 2003م.

41- نحو عربية ميسرة: أنيس فريحة، دار الثقافة– بيروت،

42- النحو والتيسير: د. فاضل السامرائي، محاضرات الندوة المفتوحة، المجمع العلمي العراقي، 1994م.

43- النشر في القراءات العشر: الجزري، تح: علي الضباع، المطبعة التجارية الكبرى.

44- نظريات في اللغة: أنيس فريحة، دار الكتاب اللبناني، ط2، 1981م.

45- وكيبيديا: 8u.pw/Kyky2https://